للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها **فصل الوجه الثاني** من اعجازه
صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج
نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع اية وانتهت فواصل كلماته اليه
ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت
فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم
من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن
المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل منكراً عليه فقال والله ما منكم احد
اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي يقوله شيئاً من هذا وفي خبره الاخر
حين جمع قريشاً عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأياً لا يكذب
بعضكم بعضاً فقالوا انقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
فقالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال
ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه
ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول
قال ما انتم بقائلين من هذا شيئاً الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر
فانه سحر يفرق به بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته
فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت
وحيداً الايات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القران يا قوم قد علمتم اني لم اترك
شيئاً الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولاً والله ما سمعت
مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال النضر بن الحارث نحوه
وفي حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصف اخاه انيساً فقال والله ما سمعت
باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعراً في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق

الى مكة وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون
شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر
فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار
في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب
الغريب بذاته وكل واحد منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما
اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد
من ائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى
على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة
وقطعاً ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف
عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه
ما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه
لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء
الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت
مقدور البشر ويقدرهم الله تعالى عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله تعالى عن هذا
وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة
عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز
واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية
واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات
الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف وابائة الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختياراً
ولا يرضونه الا اضطراراً والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم
واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)